

تيمة العنف في الرواية المغربية:
رواية "أغنية هادئة" لـ"ليلى سليمان" - نموذجاً -

Theme of Violence in the Maghreb Novel: "A Quiet Song" by Leila Slimani

- model -

ط.د/ حنان عبد المالك*1، أ.د/ سعد مردف2

1 جامعة الوادي، (الجزائر)، abdelmalek-hanane@univ-eloued.dz

2 جامعة الوادي، (الجزائر)، saadpoeme@gmail.com

*مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

تاريخ النشر: 2021/12/31

تاريخ المراجعة: 2022/12/11

تاريخ الإيداع: 2022/09/01

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ظاهرة العنف في الرواية المغربية، وقد وقع الاختيار على رواية "أغنية هادئة" للكاتبة المغربية "ليلى سليمان"، لما تحمله بين طياتها من مظاهر العنف المسلطة على الطفولة والمرأة، وجاءت الورقة البحثية محاولة للإجابة عن كيفية تجلي ظاهرة العنف في مدونة الدراسة. الكلمات المفتاحية: التيمة، العنف، الرواية المغربية، رواية أغنية هادئة، ليلى سليمان.

Abstract:

This study sheds light on the phenomenon of violence in the Maghreb novel, thus the novel "A Quiet Song" by the Moroccan stiter "Leila Slimani" was selected , because of the manifestations of violence aspects against children and women that it shows. this research paper came is an attempt to interpret the phenomenon of violence is being manifested in the corpus.

Keywords: Theme, violence,, Maghreb novel, Quiet song novel, Leila Slimani.

تقديم:

لطالما شكلت ظاهرة العنف هاجسا أرق الأفراد والمجتمعات منذ خلق الإنسان إلى غاية يومنا هذا، أين اتخذ العديد من الصور والأشكال، وهو ما أدى بالعلماء والباحثين إلى دراسة هذا السلوك في جميع التخصصات والميادين، ولأن الرواية تمثل إحدى واجهات المجتمع، وقالها الذي يعكس صورته الإيجابية منها والسلبية، فقد جاءت لتعالج مختلف القضايا والموضوعات، فكان العنف المسلط على الأطفال والنساء موضوع دراسة وتنقيب من قبل الباحثين والدارسين.

* المؤلف المراسل.

جاءت هذه الورقة البحثية من أجل تعقب ظاهرة العنف، ومعرفة صورها وتمثلاتها المختلفة في الرواية المغربية بشكل عام، وفي رواية "أغنية هادئة" بشكل خاص، وصولاً إلى آثاره المترتبة على نفسية الأفراد، ويعد العنف الممارس ضد الأطفال والنساء أخطر صور العنف، وأكثرها انتشاراً في المجتمعات المغربية، حيث ارتبط بتغير الظروف الاجتماعية، والأوضاع المعيشية التي شهدتها معظم المجتمعات، وهو ما ارتأينا الحديث عنه في هذه الدراسة التي تكمن أهميتها في توضيح هذه الظاهرة، ومعرفة مدى تأثير العنف خاصة ما تعلق منه بالعنف الأسري على الأطفال والنساء.

وتتبلور الإشكالية الرئيسية في هذا الموضوع على النحو التالي:

إلى أي مدى تجلت ظاهرة العنف في الرواية المغربية بشكل عام، وفي رواية "أغنية هادئة" لـ "ليلي سليمان" بشكل خاص؟

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الموضوعي النفسي، الذي فرضته طبيعة الموضوع باعتباره انبساط منهج يمكن الاعتماد عليه للقيام بهذه الدراسة.

أولاً- مفهوم العنف

العنف ضد الرفق. عَنَفَ يَعْنُفُ عَنُفًا فَهُوَ عَنِيفٌ. وَعَنَفْتَهُ تَعْنِيفًا وَوَجَدْتُ لَهُ عَلَيْكَ عُنْفًا وَمَشَقَّةٌ¹، وهو الغلظة والفظاظة في الأقوال أو الحركات، وهو من نتائج الغضب². وقد ورد في المعجم الفلسفي أن العنف "violence" اللفظة الإفرنجية مكونة من مقطعين: "vi" وهو مقطع مأخوذ من نفس الجذر المأخوذ منه لفظة "vitality"، أي حيوية. هذا بالإضافة إلى أن ثمة علاقة في اللغة اليونانية بين "bios" أي حياة، "bia" أي عنف، ونيثشة يربط بين العنف والحياة من حيث أن الحياة في جوهرها عنف لأنها مجاوزة لذاتها، وهذه المجاوزة تعني رفض القديم مع الإبداع³.

ويعرف العنف في المعجم النفسي "المعاني مصطلحات في علم النفس" على أنه: "إحدى الظواهر المجتمعية المنتشرة في غالبية مناطق العالم ولا يقتصر على فئة معينة، وهو عبارة عن قوة جسدية أو لفظية أو حركية تصدر من طرف ما تجاه طرف آخر، فتلحق به الأذى النفسي والجسدي وربما الجنسي أيضاً"⁴، وقد ازدادت هذه الظاهرة بشكل ملحوظ في هذه الآونة محلياً وعالمياً حتى لقد أصبحت قضية سلوكية عامة، تنتشر في كل المجتمعات، وتتجاوز حدود الفروق بين الثقافات وتأخذ صبغاً متباينة بين مختلف البيئات⁵.

وبتعريف أشمل وأدق فالعنف هو الاستخدام المتعمد للقوة الفيزيائية أو القدرة، سواء بالتهديد أو الاستعمال المادي الحقيقي ضد الذات أو ضد شخص آخر أو ضد مجموعة أو مجتمع، بحيث يؤدي إلى حدوث أو احتمال حدوث إصابة أو موت أو ضرر نفسي أو اضطرابات النمو أو الحرمان⁶.

ثانياً- تجليات العنف في الرواية المغربية

لطالما شكل العنف التيمة الأساسية في الأعمال الإبداعية المغربية في بداياتها، وقد حظي بنصيب وافر فيها، فعبرت الرواية المغربية المكتوبة منها باللغة الفرنسية بشكل خاص عن واقع الاضطهاد والعنف الذي تعيشه المجتمعات المغربية في ظل الاحتلال، فكانت أصدق تعبير عن الهموم الأساسية للجماهير الكادحة، واستطاع الروائي أن يطرح الرواية طرْحاً مسانداً للثورة في المغرب العربي. فكان لها انعكاس لكل الأوضاع التي عاشتها هذه المنطقة، ومن بين الكتاب الذين عالجوا هذا الموضوع نجد في الجزائر "محمد ديب" في ثلاثيته "دار

الكبيرة"، "الحريق"، "النول"، وكذا "مالك حداد"، "مولود فرعون"، "مولود معمري"، "كاتب ياسين" في روايته المشهورة "نجمة"، وقد رسمت مختلف الروايات في هذه المرحلة صور العنف الممارس ضد المجتمع الجزائري بشكل أو بآخر.

مع مرور الزمن انتقلت الرواية الجزائرية إلى الحديث عن عنف أكثر تأثيراً من العنف المسلط من طرف الآخر المستعمر، فكان موضوعها العنف المسلط بين أبناء الشعب الواحد أين كانت العشرية السوداء نقطة لا يمكن لأي كان أن يكتب عنها، وقد حملت كتابات الروائي الجزائري محمد ساري صور العنف والإرهاب بمختلف أشكاله ومظاهره، ومن بين رواياته نجد رواية "القلاع المتأكلة"، و"الورم".

كما كان الشأن في تصوير العنف في الروايات الجزائرية، فقد حذت الرواية في تونس حذو نظيرتها الجزائرية، ونجد من بين الروايات التي صورت مختلف أشكال العنف رواية "ومن الضحايا" لـ "محمد العروسي المطوي"، و"بودودة مات" "لمحمد رشاد الحمزاوي" و"المنعرج" "لمصطفى الفارسي" و"البحر ينشر أمواجه" لـ "محمد صالح الجابري". وعلى العموم فقد نزع الرواية التونسية في هذه المرحلة نحو تصوير أشكال الصراع الوطني والاجتماعي، وهي التيمة الأبرز التي هيمنت على السرد في بداياته الأولى، ثم انتقلت في مراحل متقدمة إلى رصد صور العنف المجتمعي في روايات الربيع العربي وخاصة روايات إبراهيم الدرغوثي.

هذا وقد انشغلت الرواية المغربية بالقضايا نفسها التي طرحتها الروايتين الجزائرية والتونسية، من مقاومة الاستعمار وتصوير مظاهر العنف المسلطة على الشعب المغربي، ونجد ذلك في روايات عبد الكريم غلاب "سبعة أبواب" و"دفنا الماضي" و"جيل الظمأ" لـ "محمد عزيز الحبابي".

ثالثا- تجليات العنف في رواية "أغنية هادئة" لـ "ليلي سليمان"

قبل البدء في الحديث عن تجليات العنف في رواية "أغنية هادئة" كان من الواجب بداية التعريف بمؤلفتها "ليلي سليمان" وهي "كاتبة وصحافية مغربية- فرنسية، من مواليد الرباط عام 1981م، "أغنية هادئة" هي روايتها الثانية. بفوزها بجائزة غونكور، تصبح هذه الكاتبة الشابة أول عربية تفوز بهذه الجائزة المرموقة، بعد المغربي "الطاهر بنجلون" عام 1987م، واللبناني "أمين معلوف" عام 1993م7.

عند التمعن وتدقيق النظر في الرواية نجد العنف طاغ بين جنباتها. وقد رسمت الروائية "ليلي سليمان" صورا لمختلف الصراعات التي تعيشها شخصيات روايتها، بطريقة "مثيرة، رائعة ولاذعة في نفس الوقت، تصور صراعا عنيفا مستلهما من وقائع الحياة اليومية"8، وعند الغوص في دراسة رواية "أغنية هادئة" نجد العنف يتخذ العديد من الصور من أبرزها:

1- صور العنف ضد الأطفال:

يعرف العنف ضد الأطفال بأنه كل فعل أو سلوك يمارسه فرد من الأسرة أو خارجها اتجاه الأطفال، يتضمن إيذاء سواء كان في شكله المعنوي أو في شكله الجسدي، كالضرب و الجرح و القتل، أو في شكله الجنسي، كالتحرش الجنسي والاعتصاب9، ويعتبر العدوان استجابة طبيعية لدى صغار الأطفال، وهو "السلوك الذي يؤدي إلى إلحاق الأذى الشخصي بالغير، وقد يكون الأذى نفسيا (على شكل الإهانة أو خفض القيمة) أو جسميا بشرط ألا يكون ناتجا عن الاستفزاز، وهي الحالة التي يحاول فيها الطفل السيطرة على أقرانه عن طريق الإيذاء الجسدي (الضرب أو اللكم أو الرفس أو رمي الأشياء أو الدفع أو البصق)، أو الهجوم اللفظي (إطلاق الأسماء،

الإغاضة، الشتم، التسلط، ملاحظات التحقير، التشاجر، التهديد بالإيذاء)10. وقد عجت رواية "أغنية هادئة" بمظاهر العنف المسلط على الطفولة، وهو ما سنورد أمثلة عن تمثالاته بالشرح والتحليل.

أ- العنف الأسري ضد الأطفال:

يعرف العنف الأسري حسب منظمة الصحة العالمية بأنه: السلوك الذي يصدر في إطار علاقة حميمة ويسبب أضرارا وآلاما جسمية أو جنسية لأطراف تلك العائلة. وعرف أيضا بأنه كل عنف يقع في إطار العائلة ومن قبل احد أفراد العائلة بما له من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمجني عليه11.

وعند تخصيص الحديث عن العنف الأسري ضد الأطفال فهو يعنى إلحاق الأذى والضرر الجسدي بالطفل من قبل والديه أو من يقوم على رعايته، وذلك من خلال الضرب المبرح واستخدام القوة البدنية والنفسية المتكررة من جانب الوالدين أو أحدهما للأطفال القصر، سواء أكان ذلك عن طريق الضرب المقصود أو العقاب البدني المبرح وغير المنظم أو السخرية والإهانة المستمرة للطفل، أو من خلال استغلال الأطفال من جانب القائمين على رعايتهم وتكليفهم بأعمال فوق طاقتهم. هو الإساءة بفعل يقوم به أفراد الأسرة بقصد إيقاع الضرر بشخص آخر، ولقد عرف جل (GL) إيذاء الطفل بأنه الممارسة المتعمدة أو المقصودة من جانب أحد أولياء الأمور، هدف الإيذاء والإضرار حتى تدمير الطفل12.

وقد اتخذ العنف ضد الأطفال في رواية "أغنية هادئة" عدة صور:

- العنف البدني أو الجسدي:

ويقصد به السلوك العنفي الموجه نحو الذات أو الآخرين لإحداث الألم أو الأذى أو معاناة الشخص. ومن أمثلة هذا النوع من العنف الضرب والدفع و الركل، وهذا النوع من العنف يرافقه غالبا نوبات من الغضب الشديد ويكون موجها ضد مصدر العنف و العدوان13.. كما يعبر عنه بأنه استخدام القوة الجسدية والتي تتمثل في الهجوم ضد الآخر بواسطة استعمال أعضاء من الجسم كالأسنان. أو الأيدي، أو الرأس، أو استخدام آلة حادة أو سلاح، حيث تكون آثاره بادية للعيان من شأنها ترك آثار على الجسد المعتدى عليه، ويكون عواقب السلوك إيقاع الألم والضرر قد يصل عنف هذا السلوك إلى القتل أو إيذاء الذات14.

وقد برزت في رواية "أغنية هادئة" أقسى صور العنف البدني المتمثل في القتل إذ تحكي الروائية "ليلي سليمان" عن جريمة قتل طفلين، تقوم بها مربيتهما. وذلك بعدما "قررت مريم والدتهما، أن تستأنف العمل في أحد مكاتب المحاماة رغم تحفظ زوجها. وهكذا شرع الزوجان في البحث عن مربية. بعد عملية انتقاء محكمة، وقع اختيارهما على لوز التي اكتسبت بسرعة حب الطفلين، واحتلت بالتدرج مكانة مركزية في البيت. وبذلك تنشأ علاقة تبعية متبادلة تتقوى شيئا فشيئا إلى أن تنتهي بمأساة"15. حيث نجد حضورا لصورة القتل المفتعل ضد الولدين بشكل مأساوي. فقد توفي "آدم" وأكد الطبيب أنه لم يتألم. وضعوا جثته المفككة الأوصال، التي كانت تطفو فوق الماء مع اللعب، في كيس رمادي وأغلقوه. أما الطفلة الصغيرة، فكانت لا تزال حية عند وصول النجدة. دافعت عن نفسها بشراسة، وقد عثروا على ما يدل على مقاومتها"16.

وما يفسر حضور تيمة القتل في الرواية أن بعض الدراسات أسفرت "على أن الأشخاص الذين مارسوا ألوانا شديدة من العنف كانوا قد خضعوا لنوع صارم وحازم من التربية في صغرهم، ولم يكن يسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم بحرية. بمعنى أن مشاعرهم المكبوتة خرجت وطفغت في شكل فعل عنيف"17. و هذا ما حدث مع

الخادمة لوز التي عاشت حياة غير مستقرة، ما انعكس سلبا على شخصيتها فمارست أشد أنواع العنف على الطفلين آدم وميلا ألا وهو القتل. وفعل "القتل مثلا باعتباره فعلا عنيفا صادرا عن الأفراد أو الجماعات هو في الأخير عنف مادي يستوجب العقاب حسب الطرح القانوني.18

بالتدرج في رواية "أغنية هادئة" نجد عنفا أقل شدة من القتل، وهو العنف البدني عن طريق الضرب المبرح، ومن صور هذا العنف التي واجهتنا بين جنبات الرواية صورة الفتاة ستيفاني التي تتعرض للتعنيف من طرف والدتها لوز أثناء عودتها من المجلس التأديبي الذي قرر طردها من المدرسة، فقد "انهالت على ستيفاني بالضرب. لكمتها على ظهرها بعنف في البداية حتى سقطت أرضا وتكومت وراحت تصرخ، لكن لوز استمرت في الضرب بكل ما أوتيت من قوة، وأوسعت وجعها صفعا. ثم باعدت ما بين ذراعها اللذين كانت تحمي بهما رأسها، وشدت شعرها. ضربتها في عينها وشمتمها ولطمتها إلى أن سال دمها. ولما توقفت عن الحركة بصقت على وجهها"19. وما يفسر عدوانية ستيفاني أنها عاشت طفولة صعبة في ظل تمزق اسري في العائلة، إذ "لوحظ أن الأولاد الذين يأتون من بيوت يكون الأب غائبا عنها لفترة طويلة يظهرن تمردا على التأثير الأنثوي للأمهات اللواتي يحملن أعباء إضافية، بأن يصبحوا شديدي العدوان"20. وقد جاء اختلاف الرأي في أهمية العقاب وضرورته، وخصوصا العقاب البدني في تنشئة الطفل ففي هذا المجال رأيان متضاربان، فهناك الرأي الذي يقول بأن الأخطاء التي يرتكبها الطفل أثناء مرحلة الطفولة لا يردع الطفل عنها ولا يقومها غير العقاب... وإلى جانب هذا الرأي يوجد الرأي الذي يقول أن الغرض من التنشئة ليس صب الطفل في قالب معين محدد المعالم والسمات يقرره له الكبار، وإنما هو الأخذ بيده ومساعدته لكي يحقق أقصى ما لديه من قدرات وإمكانيات21.

بالإضافة إلى صور العنف السابقة الذكر نذكر صورة العنف الممارس عن طريق العض وذلك من خلال المشهد الذي قامت به الخادمة لوز إذ وبينما كانت مريم والدة آدم "تجرده من ملابسه، لاحظت على ذراعه وظهره بمحاذاة الكتف أمارتين غريبتين. ندبان أحمران على وشك أن يطمسا، لكن حين أمعنت النظر فيهما، تبينت ما يشبه آثار أسنان... ما كادت المربية تدخل إلى الشقة في صباح اليوم الموالي، حتى فاتحتها مريم في موضوع النديين"22

هذا ولم تخلو الرواية من مظاهر الدفع والضرب المبرر وغير المبرر فيها هي الخادمة لوز خلال الرحلة العائلية على شاطئ البحر "تصعب عرقا، ولم يعد لها ما تتذرع به للطفلة الملحاحة. تشبثت ميلا بيدها لكن لوز رفضت أن تنهض. وفجأة شدت معصم الطفلة ثم دفعتها بعنف حتى سقطت. وصرخت بها ألن تتركيني؟23. وما تم ملاحظته على رواية "أغنية هادئة" طغيان صور العنف البدني الذي غلب على جل مشاهد الرواية وأحداثها.

- العنف اللفظي:

يتضح من تسميته أنه يكون باللفظ، فوسيلة العنف هنا تأثيره على نفس الشخص المعنف فهذا النوع يهدف إلى التعدي على حقوق الآخرين بإيذائهم عن طريق الكلام والألفاظ الغليظة النابية، وغالبا ما يسوق العنف اللفظي إلى العنف الفعلي والجسدي24. ويعد هذا العنف من أشد الأنواع خطرا على الصحة النفسية للإنسان وخاصة الأبناء، مع أنه لا يترك آثارا واضحة، إذ يقف عند حدود الكلام والإهانات عن طريق النعت بألفاظ بذينة، وعدم إبداء الاحترام، ويكون ذلك عن طريق الاستفزاز والاستهزاء كالتهديد والإذلال والشتيم والتحقير... مما يؤدي إلى تدمير الشعور بالكرامة الذاتية، مما ينمي الشعور بالذل والعار25.

وعند تحليل رواية "أغنية هادئة" ترتسم لدينا بين الفينة والأخرى العديد من صور العنف اللفظي، إذ نجد ذلك باديا في ما تعرضت له ستيفاني ابنة الخادمة لويز حين ترافق والدتها إلى منزل عائلة مستخدمها آل روفي لقضاء العطلة، ففي اليوم الأخير منها "دعا هكتور وتانكريد أبناء الجيران ليلعبوا معها في الترامبولين الجديدة. لحقت بهم ستيفاني التي بالكاد تكبر الأولاد، وراحت تقوم بقفزات خطيرة وشقليات مثيرة جعلت الأطفال يصرخون من الحماس، وهو ما أثار انتباه روفي، فتدخلت وطلبت منها أن تترك الصغار يلعبون. اقتربت من زوجها وقالت بصوت مسموع: هذه آخر مرة نصطحبها معنا. أظن أن الأمر شاق عليها كثيرا. لاشك أنها تتألم من رؤية هذه الأشياء التي لا حق لها فيها. فابتسم الزوج بلطف 26، وهذا إنما ينم عن شيء من العنف اللفظي وغرضه احتقار الفتاة ستيفاني والتقزيم من شأنها.

- العنف الدلالي والرمزي:

إن الآباء المسيئين غالباً ما يكونون قد تعرضوا للإساءة أو الإهمال وهم أطفال، ولذلك فإن خبرات الإساءة في الطفولة تزيد من قابلية قيام هؤلاء الآباء بالإساءة إلى أطفالهم، فالوالدان اللذان كانوا ضحايا الإساءة أو الإهمال في طفولتهم هم أكثر عرضة لأن يصبحوا مسيئين مع أطفالهم. وهذا النوع من العنف يطلق عليه علماء النفس تسمية العنف التسلطي، وذلك للقدرة التي يتمتع بها الفرد الذي هو مصدر هذا العنف والمتمثلة في استخدام طرق تعبيرية أو رمزية تحدث نتائج نفسية وعقلية واجتماعية لدى الموجه إليه العنف 27. ومن أهم مظاهر العنف المعنوي الإهمال والشعور بالمهانة نتيجة فقد الطمأنينة، و"هذه الحاجة تبدأ مع الطفل منذ لحظة مولده وترتبط بالوسيلة التي تعامل بها الأم- وليس أي شخص سواها كالدادة مثلا- الطفل فإنه منذ بواكير حياته يدرك العالم حوله عن طريق الحواس، وهو يترجم الإحساسات التي تسري في جسمه أثناء العناية بتغذيته ونظافته ومداعبته، وخصوصاً أثناء الرضاعة الطبيعية يترجمها إما إلى لذة وراحة واطمئنان أو إلى ألم وجزع وقلق، ومن هنا كانت الرضاعة الطبيعية بكل ما يصاحبها من دفء هي حجر الأساس في توفير الشعور بالطمأنينة للطفل 28.

وقد رسمت الروائية "ليلى سليمان" الأطفال الرضع في الكثير من الأحيان، فهي تصور "ميلا" رضيفة ضعيفة ومشاكسة، لا تكف عن البكاء، ولم يكن وزنها ينمو. ترفض ثدي أمها وزجاجات الإرضاع التي يهينها أبوها 29. كل ذلك حدث بسبب العنف الرمزي الذي سلط عليها من طرف والدتها، ومحاولاتها حرمانها وتقليل حصتها من الحليب الطبيعي.

بالإضافة إلى هذا فإن محاولة مريم الخروج إلى العمل والهروب من مسؤولية طفلين أحدهما رضيع يعد ضرباً من ضروب العنف الرمزي، كيف لا؟ وهي ستتركهما للخادمة حتى تعتني بهما، فكأنما هي تتنازل عن دورها كأم بكل عنف إلى مربيتها لويز.

ب- العنف المدرسي:

إن ظاهرة العنف بشكل عام تعد من أكثر الظواهر التي تستدعي الاهتمام والبحث من مختلف المؤسسات، فهي قضية قديمة ومتجددة وشائكة وتحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي. والملاحظ في الآونة الأخيرة انتشار ظاهرة العنف المدرسي وخاصة تعدد أشكاله بين التلاميذ في المدارس فأصبحت ظاهرة دخيلة على

مجتمعاتنا العربية. والدراسات الحديثة تولي اهتماما للعنف المدرسي الذي يعتبر قضية متزايدة يوما بعد يوم في المدارس³⁰.

ويعرف العنف المدرسي بأنه "كل تصرف يقع في نطاق المدرسة يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون جسديا أو نفسيا فالسخرية والاستهزاء من الفرد وفرض آراء بالقوة وإسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة³¹. وهذا ما حدث لستيفاني التي اعتبرتها مشغلة والدتها السيدة بيران محظوظة لتوسطها بتسجيلها في ثانوية أفضل من التي كانت ستوجه إليها، إلا أن الفتاة لم تكن في المستوى فلم "تكذب" تمضي بضعة أسابيع على التحاقها بالصف النهائي من الإعدادية، حتى بدأت المشاكل. كانت تشاغب خلال الدروس بحيث لا تتمالك نفسها من القهقهة، وترجع التلاميذ، وتجيب ببذاءات على أسئلة الأساتذة³². وخلال المجلس الذي قام به الطاقم التربوي كان الكل على كلمة واحدة هي أن "ستيفاني غير منسجمة مع التلاميذ، وغير مهذبة ووقحة، ليست فتاة مؤذية لكنها حين تشرع في الشغب لا سبيل لإيقافها"³³. وفي ذلك يقول الأستاذ الرئيس: "إن ستيفاني فتاة مشاغبة، وأنهم فشلوا جميعا في توجيهها. ورغم سعيهم الحثيث، واستعمالهم جميع الطرائق البيداغوجية، لم يفلحوا في تقويم سلوكها"³⁴.

وفي هذا الصدد أشار "رينكي، وهيرمان Herman.Reinke" أن نجاح البرامج الوقائية وبرامج التدخل للحد من عنف الشباب يتوقف على إدراك وتعديل أوجه المناخ المدرسي، وتعامل المدرسين والعاملين بالمدرسة مع الطلاب، والبنية المدرسية ككل، ويمكن القول أن هناك أساليب يمكن أن تكون أكثر ملائمة من استخدام العنف³⁵.و"يعتبر العلاج باللعب - إلى حد ما- مجالا سيكولوجيا جديدا لدراسة الإنسان صحيح أن هناك مداخل متنوعة لدراسة هذا السلوك إلا أن هذا المجال من بين عديد من المناحي أثبت فاعليته وتأثيره، وبصفة خاصة مع الأطفال المضطربين (غير الأسوياء)³⁶.

وعند الحديث عن الشخصية غير السوية والتي تتمثل في شخصية ستيفاني فإن "هذه الشخصية تتميز بالسلبية، والضعف في النشاط الجسدي والعقلي، ولا تستطيع الاستمرار أو المثابرة على نهج واحد لمدة طويلة وصاحبها دائم الشكوى من الضعف العام وعدم القدرة على التكيف مع المجتمع. وينقصه كذلك الطموح في حياته الثقافية أو الاجتماعية أو العاطفية. وكثيرا ما يفشل هؤلاء في الدراسة نظرا لعدم استطاعتهم تحمل المسؤولية³⁷، وذلك على اعتبار أن "العقاب بوجه عام عامل هدام للنفسية لأنه يعجز الطفل عن رؤية أي جمال مادي أو معنوي في بيئته، كما يعمل على تدمير نفسه وتدمير ما حوله، وهو في كثير من الأحيان يمثل لدى الطفل ظلما يقع عليه، لأنه في نظره لم يرتكب خطأ يستحق عليه العقاب"³⁸.

وما تم الوصول إليه أن صور العنف تعددت في الرواية بتعدد المواقف والمواضع، وقد طغى عليها العنف الطبيعي كالميل نحو "القتل والاعتداء وما يولده من عنف نفسي، كميل نحو التعذيب ليس هو العنف الوحيد الذي يعرفه الوضع البشري، بل هناك تجليات متعددة للعنف"³⁹. الذي يظهر في المراهقة بصورة واضحة ويزداد كرد فعل عصبي انفعالي لفشل شخصي أو عند مواجهة الفرد معوقات كثيرة مثل مرض يهدد كيان الأسرة أو انفصال الوالدين أو زواج أحدهما⁴⁰. من بينها العنف الأسري الذي يستحوذ على مساحة واسعة من مواضيع الرواية في المغرب العربي ككل. وهو بمعناه الواسع يغطي "كافة أنواع العنف الذي يقع داخل الأسرة، على الرغم من أن العنف ضد الأطفال يوصف عادة بمصطلح خاص هو انتهاك الأطفال وإساءة معاملتهم. والمألوف أن

ترفض الشريعة التدخل في الحوادث التي تتضمن ممارسة العنف الأسري، وتفضل اعتبار الأسرة شأنًا خاصًا لا يصح التطفل عليه"41.

2- صور العنف ضد المرأة:

يعرف العنف ضد المرأة أنه كل عمل عنيف عدائي أو مهين تدفع إليه عصبية الجنس، يرتكب بأية وسيلة كانت بحق أية امرأة لكونها امرأة ويسبب لها أذى نفسي أو بدني أو جنسي، أو معاناة بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة. ومن التعريف نفهم أن العنف هو أي فعل مقصود أو غير مقصود يسبب معاناة نفسية أو جسدية أو جنسية للمرأة، فالعدوان عنف و الإهانة عنف وكل ما يخلق لها معاناة من قهر وخوف وتهديد هو عنف، فكل فعل يمارس من قبل الرجال في العائلة أو المجتمع ابتداء من الشتم والتحرش الجنسي واستخدام القسوة ضدها والانتقاص من قيمتها كإنسان وإجبارها على فعل مالا تريد وحرمانها من حقوقها هو عنف ضد المرأة42، وهو ما يترتب عنه مجموعة من الآثار النفسية والاجتماعية.

ومن أهم صور العنف البدني المسلطة على المرأة ذلك الذي مارسته الخادمة لوزيد ضد نفسها إذ "لم تنجح في قتل نفسها نجاحها في قتل الطفلين. صفدت معصمها. وغرزت السكين في عنقها، ففقدت الوعي وسقطت مغشى عليها بجانب سرير الرضيع"43.

من ناحية أخرى وعند الحديث عن صور العنف اللفظي المسلطة على المرأة في رواية "أغنية هادئة" يحضرنا تعنيف جاك لزوجته لوزيد وتذكرها لمشاهد مختلفة، فهي "تشعر بانزعاج زوجها وتذكر أنه إنما رفع صوت المذياع وفتح النافذة وراح يدخن ليسكتها ويثبط عزيمتها كان غضبه يخيفها لكن عليها أن تعترف أيضا بأنه يثيرها أحيانا. كانت تجد متعة في إغاضته بحيث كان يوقف السيارة على جانب الطريق، ويمسك برقبتها ويهددها بإسكاتها إلى الأبد44. ومن قبيل العنف اللفظي في رواية "أغنية هادئة" العديد من الصور والمواضع.

وبتحويل الكفة إلى التحري عن صور العنف المعنوي أو الرمزي المسلط على المرأة سواء من طرف الأسرة أو المجتمع نجد "أن مريم" ذاقت ذرعا بحمايتها سيلفي كانت تنصت لنصائحها وهي تبتسم وتبلع ريقها لما تراها تفتش في الثلاجة. وتنتقد ما يوجد بها من أطعمة. كانت سيلفي تشتري الخس البيولوجي. وتحضر الطعام لميلا، لكنها تترك المطبخ في حالة من الفوضى العارمة... كان يخيم على البيت جو من الانزعاج الشديد ينذر بأن يتحول في أي لحظة إلى خصومة ضارية.45

وعلى الرغم من بعض أشكال العنف العائلي الموجه ضد المرأة قد يترتب عليه آثارا مادية جسدية على المرأة، إلا أن الآثار النفسية والاجتماعية لجميع أشكال العنف سواء كانت مادية أو معنوية أعمق وأشد من الآثار المادية. فإحداث تشويه في جسد المرأة نتيجة عنف مادي يؤدي إلى آثار نفسية تفوق في ألمها الألم المادي الذي عانتها المرأة. فضلا عن ذلك فإن الآثار المادية للعنف هي في الغالب ذات طبيعة مؤقتة، أما الآثار النفسية والاجتماعية فإنها ممتدة وبعيدة المدى، وتزداد أهمية الآثار النفسية والاجتماعية أنها قد لا تقتصر على المرأة المعنفة ك فرد، بل تمتد لتصيب المرأة عموما كجنس وفتنة اجتماعية46.

إذا ما نحن بحثنا عن دوافع هذا العنف نجد أن النظريات "تختلف في تفسير الأسباب أو العوامل التي تدفع إلى السلوك العدواني، فبعضها يؤكد الدور الذي تلعبه العمليات البيولوجية، والبعض الآخر يؤكد الدور

الذي يلعبه التعلم كمصدر أساسي لنمو ذلك السلوك...يستدل من الدراسات والنظريات العلمية أن العدوان عادة ما يكون استجابة تلقائية مباشرة للإحباط⁴⁷. وهو ما تجسد في رواية (أغنية هادئة) من خلال شخصية لويز التي اعتبرت تعنيفها للأطفال نوعاً من المتنفس الذي تحاول من خلاله إخراج ما يعج داخلها من إحباط. وقد "فسر بعض العلماء العنف بانحرافات وظائف الدماغ. وقد استند علماء الأعصاب في تفسيرهم للعنف بانحرافات وظائف الدماغ إلى معطيات التشخيص التي تمت باستخدام آلة قراءة الدماغ. أو ما يطلق عليه البعض جهاز رسم المخ⁴⁸.

خاتمة

بعد هذا العرض البسيط حول موضوع العنف في الرواية المغربية، والذي لا ندعي أنه قد استوفى الموضوع حقه، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوردها فيما يلي:

- شكل موضوع العنف جزءاً من المؤلفات الروائية في المغرب العربي، كما شكل سمة بارزة في رواية "أغنية هادئة" للكاتبة المغربية "ليلي سليمان".
- عبرت ليلي سليمان بلغة سهلة عن مشاكل وهموم فئة من المجتمع فعالجت روايتها "أغنية هادئة" قضية مهمة في المجتمع المغربي ألا وهي ظاهرة العنف بكل صوره وأشكاله.
- عبر العنف الأسري ضد الأطفال عن صورة بارزة في "رواية اغنية هادئة" كونه كل ما يهدد سلامة استقرار الطفل داخل الأسرة وكل فعل يؤدي إلى إلحاق الأذى به، سواء ضرر نفسي أو جسدي الصادر عن أحد الوالدين أو القائم على رعاية الطفل، ويؤثر العنف سلبي على علاقة الأفراد مع بعضهم البعض في الحاضر والمستقبل سواء على المستوى الشخصي أو الأسري أو الاجتماعي. وقد شكل العنف البدني المادي السمة البارزة على مختلف صوره وأشكالها.
- رسم العنف ضد المرأة بمختلف مظاهره علامة مميزة في الخطاب الروائي عند "ليلي سليمان"، وهو ما ترك في أعماق اللاوعي للخدمة لويز شعوراً بالقهر الذي نتج عنه القتل. وقد استطاعت الرواية الإحاطة بمختلف أشكال العنف المسلطة على المرأة بشكل أكثر تأثيراً..
- تميزت رواية "أغنية هادئة" بدقة الوصف وبراعة الأسلوب، وهو ما جعل صور العنف بارزة بشكل لافت للانتباه من فاتحة الرواية إلى نهايتها.

هوامش وإحالات المقال

- 1 الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تح عبد الحميد هنداوي، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003م، ص239
- 2 السيد عباس نور الدين، معجم المصطلحات الأخلاقية، بيت الكاتب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2006م، ص52.
- 3 مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص441.
- 4 بديع القشاعلة، المعاني مصطلحات في علم النفس، مركز السيكولوجي للخدمات النفسية والتربوية رهط، النقب، فلسطين، 2018 ص 96
- 5 محمود سعيد الخولي: العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، تق: محمود فتحي عكاشة وآخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2008م، ص16.
- 6 عائشة المدفع: العنف وسوء معاملة الأطفال "دراسة ميدانية على عينة من الأطفال المواطنين في مجتمع الإمارات، مؤسسة دبي لرعاية النساء والأطفال، ط1، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2015م، ص05.
- 7 ليلي سليمان، رواية أغنية هادئة، تر، محمد التهامي العماري، المركز الثقافي العربي، ط1، المملكة المغربية، 2017م، ص224
- 8 المصدر نفسه، ص224.

- 9 بوغراف حنان، مشكلة العنف ضد الأطفال من اجل مقارنة سوسيوولوجية معاصرة، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، ع2، جوان 2017م، ص25.
- 10 ماريا بيرس، جنيفيف لاندو: اللعب ونمو الطفل، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 1997م، ص135.
- 11 صفوان محمد مبيضين: العنف المجتمعي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، ص85
- 12 ابتسام سالم خليفة، مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة، مجلة كليات التربية، ع12، جامعة الزاوية، 2018م، ص95.
- 13 المرجع نفسه، ص ص 102، 103.
- 14 أحمد رشيد عبد الرحيم زيادة، العنف المدرسي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007م، ص20.
- 15 ليلى سليمان، رواية أغنية هادئة، ص224.
- 16 المصدر نفسه، ص09.
- 17 عبد الرحمن العيسوي، اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، دار الراتب الجامعية، ط1، بيروت، لبنان، 2000م، ص15.
- 18 عبد الحق مجيظنة: مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسولوجية بين الطرح العلمي والطرح الإيديولوجي، قراءة إبستيمولوجية، ص142
- 19 ليلى سليمان، رواية أغنية هادئة، ص178.
- 20 ماريا بيرس، جنيفيف لاندو: اللعب ونمو الطفل، ص138.
- 21 محمد قرني: ابنك والمدرسة إرشادات تربوية ونفسية للام، ص ص 03، 04.
- 22 ليلى سليمان، رواية أغنية هادئة، ص121
- 23 المصدر نفسه، ص70
- 24 ابتسام سالم خليفة، مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة، ص ص 102، 103.
- 25 محمد منير كرادشة، العنف الأسري سوسولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة، جامعة اليرموك، ط1، الأردن 2009م، ص32
- 26 ليلى سليمان، رواية أغنية هادئة، ص53
- 27 ابتسام سالم خليفة، مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة، ص ص 102، 103.
- 28 محمد قرني: ابنك والمدرسة إرشادات تربوية ونفسية للأم، ص05.
- 29 ليلى سليمان: رواية أغنية هادئة، ص14.
- 30 محمود سعيد الخولي: العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، ص14.
- 31 عائشة المدفع: العنف وسوء معاملة الأطفال "دراسة ميدانية على عينة من الأطفال المواطنين في مجتمع الإمارات، ص05
- 32 ليلى سليمان: رواية أغنية هادئة، ص174.
- 33 المصدر نفسه، ص175.
- 34 المصدر نفسه، ص177.
- 35 محمود سعيد الخولي: العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، ص17.
- 36 كلارك موستاكس: علاج الأطفال باللعب، تر: عبد الرحمن سيد سليمان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م، ص21
- 37 محمد قرني: ابنك والمدرسة إرشادات تربوية ونفسية للأم، ص34.
- 38 المرجع نفسه، ص10.
- 39 محمد الهلالي، عزيز لزرقي، العنف، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2009م، ص06.
- 40 محمود سعيد الخولي: العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، ص56.
- 41 جورودون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، تر، أحمد زايد وآخرون، مرتق، محمد الجوهري، مج2، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2000م، ص1046.
- 42 خروبي مفيدة: مظاهر العنف الأسري الموجه ضد المرأة -دراسة استطلاعية بولاية ورقلة-، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع13، ص117.
- 43 ليلى سليمان: رواية أغنية هادئة، ص10
- 44 المصدر نفسه، ص95
- 45 المصدر نفسه، ص15

- 46 خروبي مفيدة: مظاهر العنف الاسري الموجه ضد المرأة -دراسة استطلاعية بولاية ورقلة-، ص119.
- 47 هدى محمود الناشف، الأسرة وتربية الطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 2011م، ص114.
- 48 محمود سعيد الخولي: العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، ص41.

المراجع:

1. أحمد رشيد عبد الرحيم زيادة، العنف المدرسي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007م
2. أسماء ربيعي العرب، العنف ضد الطفل من وجهة نظر أولياء الأمور في المجتمع الريفي-الأشكال والآثار-، كلية علجون الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2010م
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م
4. جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، تر، أحمد زايد وآخرون، مر تق، محمد الجوهري، مج2، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2000م
5. الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تح عبد الحميد هندراوي، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003م
6. خروبي مفيدة: مظاهر العنف الأسري الموجه ضد المرأة -دراسة استطلاعية بولاية ورقلة-، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع13، ص117.
7. السيد عباس نور الدين، معجم المصطلحات الأخلاقية، بيت الكاتب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2006م.
8. صفوان محمد مبيضين: العنف المجتمعي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن،
9. عائشة المدفع: العنف وسوء معاملة الأطفال "دراسة ميدانية على عينة من الأطفال المواطنين في مجتمع الإمارات، مؤسسة دبي لرعاية النساء والأطفال، ط1، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2015م
10. كلارك موستاكس: علاج الأطفال باللعب، تر: عبد الرحمن سيد سليمان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م
11. ليلى سليمان، رواية أغنية هادئة، تر، محمد التهامي العماري، المركز الثقافي العربي، ط1، المملكة المغربية، 2017م
12. ماريا بيرس، جنيفيف لاندو: اللعب ونمو الطفل، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 1997م
13. مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، ع2، جوان 2017م
14. مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع13
15. مجلة كليات التربية، ع12، جامعة الزاوية، 2018م
16. محمد الهلالي، عزيز لزرقي، العنف، دار تويقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2009م
17. محمد قرني: ابنك والمدرسة إرشادات تربوية ونفسية للام، المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر
18. محمد منير كرادشة، العنف الأسري سوسيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة، جامعة اليرموك، ط1، الأردن 2009م
19. محمود سعيد الخولي: العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، تق: محمود فتحي عكاشة وآخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2008م
20. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م
21. هدى محمود الناشف، الأسرة وتربية الطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 2011م